

أمثال القرآن

[344] الثاني: تحقير الأصنام وبيان عجزها وكذبها أمام القدرة الإلهية، وذلك يقلل من قداستها وقيمتها عند المشركين. في هذا المجال تُطرح على المشركين أسئلة من قبيل: هل تدرك هذه الأصنام ما يدور حولها من شؤون؟ أو هل يمكنها الإجابة على أسئلتكم؟ أو هل هي قادرة على حل مشاكلكم؟ من الواضح أن السلب هو جواب هذه الأسئلة جميعها، وإذا كان الواقع كذلك كان ذلك يعني أنها عمياء صماء ولا إرادة لها، وعلى هذا كيف يمكن لها أن تكون حلا لمشاكلكم؟ في القصة المعروفة عن النبي إبراهيم (عليه السلام) عندما سئل عما كان كسر الأصنام وحطّمها أجاب: (بَلْ لَّوْ فَعَلَّاهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْدِطِقُونَ)(1). القرآن ينقل جواب المشركين كالتالي: (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّ زَسَكُمُ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ زُكِّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْدِطِقُونَ)(2). عندما شاهد فيهم إقراراً على عدم امكانية تكلم الأصنام فضلاً عن دفاعها عن نفسها بدأ بزمّها تحقيرها والمشركين كذلك وقال: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفُ لَكُمْ وَلِمَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(3). سعى إبراهيم (عليه السلام) من خلال تحقير الأصنام وبيان ضعفها وكونها ليست منشأً لا للخير ولا للشر لتنبية المشركين إلى سوء عملهم وبطلان اعتقادهم. الثالث: إيقاظ وجدان المشركين النائم وتوظيف هذا الوجدان في هذا الطريق، وقد أشارت الآية 65 من سورة العنكبوت إلى هذا الأسلوب حيث تورّط المشركون في السفينة وسط البحر بأموال عظيمة شعروا إثرها بقرب موتهم فاذا بهم يدعون الله مخلصين له وطالبين منه المعونة. وهذا يكشف عن لجوئهم إلى الله في المعظلات حيث ينقطع أملهم بكل شيء غيره وتنغلق عليهم الأبواب إلاّ بالله، ويعرفون عندئذ أن لا معبود أهل للعبادة غير الله تعالى. 1. الأنبياء: 63. 2. الأنبياء: 64 و65. 3. الأنبياء: 66 و67.